اخوان الصفا والاسماعيلية

للاستاذ اديب عباسى

علاقتهم بالاسماعيلية - تشيعهم - دعوتهم الى الامام المنتظر

يقول كازنوفا المستشرق الفرنسى الكبير ما معناه :

« إننى على أتم الثقة من أن آراء إخوان الصفا هى برمتها آراء الأسماعيلية . ومحور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الامام الذى سوف يملأ الأرض سعادة ، وقد اتهم القرامطة والحشاشون من قبل اعدائهم بالكفر ، ولكن ليس لهذه التهمة ظل من الحقيقة . فان الرسالة الجامعة (١) ، وهى خلاصة هذه الفرق ، ليس فيها شيء من ذلك . فمذهب الاسماعيلية وما تفرع منه هى فى أصلها بريئة من كل ما نسب اليها ، وأكرر القول هنا بان النزعة التى تسود آراء الاسماعيلية هى الاعتقاد بوحدة الكون (البانتيزم) . وهو مذهب يقاوم الالحاد وإنكار الخالق مقاومة عنيفة

« والنتيجة التى انتهيت اليها هى أن هذه المذاهب هى مثل من أمثلة التاريخ التى تبين كيف ان المذهب يكون نقياً ، ولكن فى أيدى ذوى الاطماع يصبح آلة للفتك والتدمير » (نيكلسن ص ٣٧١)

نقلنا هذه القطعة عن المستشرق الفرنسى لكى نبين أننا لانسيء الى إخوان الصفا إذ ننسبهم الى الاسماعيلية ، ولكن ما هى طبيعة هذه النسبة وما هو مقدارها ؟ هذا ما يجيب عنه اولياري بقوله « هناك ما يغرى بالظن فى أن حركة الاخوان كانت حركة اصلاح من جانب بعض الاسماعيلية الذين ارادوا الرجوع الى تعاليم الاسماعيلية القديمة » (٢) وأول ما يلحظ من اوجه الشبه بين الاسماعيلية واخوان الصفا الاسلوب الذى جروا عليه فى نشر دعوتهم والدعاية لمذهبهم وهو اسلوب الاسماعيلية المعهود - اسلوب التدرج فى بث الفكرة والتلطف فى عرضها على الناس . فاخوان الصفا كالاسماعيلية يوصون « بأنه ينبغى لمن حصلت له هذه الرسائل من اخواننا الكرام ان يدفع منها الى كل من يستحق ما يقرب من فهمه ، وما يعلم انه يصلح له أو يليق بمرتبته أولا فأولا . فكلما ارتفعت نفسه فى العلم الى درجة درجة وانتهت الى مرتبة مرتبة فى المعرفة رقى الى ما بعدها ورفع الى ما يتلوها (ج ٤ ص ٢٨٨)

ومن أبواب التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقا كليا فى مذهب الحلول . فهو فى رسائل الاخوان كما فى تعاليم الاسماعيلية المحور الذى تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم (١)

ووجه آخر من أوجه التشابه هو تفسير القرآن تفسيرا غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ . وهذا الاسلوب هو أسلوب الباطن الذى جرى عليه الشيعة ومن تفرع منهم . واليك ما يقوله اخوان الصفا فى هذا الشأن :-

« واعلم أن للكتب الالهية تنزيلات ظاهرة وهى الالفاظ المقروءة المسموعة . ولكن لها تأويلات خفية باطنة : وهى المعانى المفهومة المعقولة . . . وفى استعمال احكامها الظاهرة صلاح للمستعجلين فى دنياهم ، وفى معرفتهم اسرارها الخفية صلاح لهم فى امر معادهم . » (ج ٤ ص ١٨٩)

هذه بعض أوجه الشبه بين الاسماعيلية واخوان الصفا من حيث المعتقد وطرائق النشر والدعاية . على ان ثمة وجهين آخرين للشبه بينهما : وهما التشيع لآل البيت والدعوة الى الامام المنتظر أو المهدى . أما أمر التشيع فظاهر من قولهم :-

« ومن الناس طائفة ينتسبون الينا اجسادهم وهم براء منا ويسمون انفسهم العلوية وما هم من العلويين ، ولكنهم فى أسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الا نسبة الاجساد ، ولا من القرآن الا اسمه ، ولا من الاسلام الا رسمه (ج ٤ ص ١٩٥) . وهم لا يذكرون الامام الا مقرونا بأفخم النعوت كقولهم « وايضا من الآراء الفاسدة رأى من يرى ان بارئه والاهه روح القدس قتله اليهود . .

(١) الرسالة الجامعة هى خلاصة رسائل اخوان الصفا . وفيها تظهر أغراضهم بجلاء ووضوح تامين ، فكل ما تقدمها من رسائل كان شبه مقدمات لها . وقد اعتمد المستشرق كازنوفا على هذه الرسالة (وهى خطبة نادرة) فى اثبات صلة اخوان الصفا بالاسماعيلية على اننا لدى مطالعتنا رسائل الاخوان ، وجدنا فيها ما يثبت هذه الصلة دون الاحتياج الى هذه الرسالة الجامعة .

(٢) يعتقد كولد زيهر أن رسائل اخوان الصفا كانت الاساس الذي بنيت عليه معتقدات الاسماعيلية Nohannad I & Haw الا اننا نرجح رأى اولياري لاسباب لا مجال لذكرها هنا . ص ٢٦٤

(١) يقول مكدونلد : انه مما يثبت علاقة اخوان الصفا بالاسماعيلية ومن تفرع منهم وجود قسم من رسائلهم فى كتب الحشاشين المقدسة . ويقفى على ذلك بقوله يجب الايظن بان الحشاشين لم يكونوا الا فئة دأبها السلب والتقتيل . لان الواقع يثبت أنهم درسوا العلوم درسا لا بأس به (ص ١٦٩ ... Muslim Theology)

وهكذا ايضا حكم من يرى ويعتقد ان الامام المنتظر الفاضل الهادى مختف لايظهر من خوف المخالفين » (ج ٤ ص ٧٦ - ٨٧)

ومثله قولهم : « واعلم ياأخى أن أقوى ما يكون فعل ابليس فى دور الشهر (دور الشهر فى مصطلحات الشيعة هو الزمن الذى لايكون فيه إمام وهو الفترة بين الامام الواحد والذى يليه) . وذلك لأن حجة الله على أرضه وخليفته على عباده يكون مختفيا مستوراً ، وان كانت انواره تضىء فى نفوس العارفين به » (ج ٤ ص ٣٥٥)

ماتقدم لا يدع مجالا للشك فى تشيع إخوان الصفا وإيمانهم بالامام المنتظر . ولكن لنا ان نسأل هل وقف اخوان الصفا عند حد النظر من الايمان بالامام المنتظر أو هم تخطوا ذلك الى بث الدعوة له والتعريف به ؟ نعتقد ان فى القطعة التالية ايضاحاً لذلك وذلك حيث يقولون : —

« وقد أخذناك ايها الأخ لأمر فيه قربة الى الله تعالى ونصرة للدين . فكن واثقاً بما اخترناك ، وسر على بركة الله وحسن توفيقه ، متوكلا عليه فى نصرته وتأييده الى أخ من اخواننا الفضلاء ، وتلطف فى الوصول اليه وبشره بما القيناه من الاسرار فى شأنه . : وعرفه بان اخوانه الذين وجهوك اليه لهم مجلس يجتمعون فيه يتذاكرون العلوم ويتحاورون الأسرار . فتذاكروا يوماً فيما بينهم من حوادث الأيام وتغيرات الزمان وماتدل عليه دلائل القرآن من تغيير شرائع الدين والملل ، وتنقل الملك والدول ، من أمة الى أمة ومن بلد الى بلد ، ومن هل بيت الى اهل بيت(١) وقد اعتبرنا بهذه الوجوه التى ذكرناها حتى عرفنا (صاحب الأمر) بصفاته والسنة والشهر الذى يكون فيه الحادث (ج ٤ ص ٢٢٤ — ٢٥)

ما تقدم لايدع مجالا للريب فى أغراض اخوان الصفا السياسية ، وهى نشر الدعوة واعداد الأفكار لظهور أحد المهديين ؟

(١) قد يكون المعنى فى كلام اخوان الصفا الفاطميين ، فقرائن الاحوال تدل على انه كان لاخوان الصفا صلة بهم ، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد هذه الصلة تحديداً قاطعاً . وأحب أن لا يغيب عن ذهن القارىء ما ذكرناه من قول ابن تيمية أن رسائل الأخوان صنفت قريبا من بناء القاهرة

(الرسالة) نلاحظ على الاستاذ هنا وفى المقال الماضى أنه أسقط المقصود من قول ابن تيمية صنفت قريبا من بناء القاهرة ، فانه يريد صنفت قريبا من زمن بناء القاهرة أي سنة ٣٥٨ هـ لا قريبا من مكانه

بين المعرى وداتى

بقلم محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميديا المقدسة

فى سماء الأدب العربى تتألق رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى . وفى سماء الأدب الطليانى تتألق الكوميدية المقدسة لشاعر الطليان داتى اليجييرى Dante alighieri وفى كل منهما خيال يقرب من الخيال الآخر حتى ظن كثير من الأدباء أن شاعر الطليان سرق شاعر العرب . وأن خيال المعرة انتقل الى فلورنسا . وسواء لدينا أسرق داتى فكرة المعرى أم هى المصادفة أتاحت لكل منهما ما اتاحته للآخر ، ففى كل من الروايتين حوار مع أهل الجنة ومع أهل النار ، وفى كل منهما رحلة فى دركات الجحيم وفى طبقات الجنة ، سنعرض لذلك كله بالموازنة والتحليل ما اتسعت لنا صفحات الرسالة الغراء .

التعريف بالشاعرين

فى سنة ٩٧٣م ولد أبو العلاء المعرى وفى سنة ١٠٥٩ انتقل الى قبره بعد أن عمر ستة وثمانين عاما ، ولم يكد يناهز الرابعة من عمره حتى أصابه الجدرى فذهب بعينيه .

وكأن الله أراد أن يعوضه عما فقده من حاسة البصر ، فرزقه حافظة تعلق بها الكراريس العدة اذا تليت عليها مرة واحدة

وكأنى به استوعب ما احتوته قريته المعرة من العلوم والمعارف فرحل الى العواصم الاسلامية يرتشف منها مناهل العلم ، فزار حلب وانطاكية وطرابلس الشام واللاذقية وبغداد . الى ان بلغ من العمر سبعة وثلاثين ، فزهد فى الدنيا واعتزل الناس فى منزله بالمعرة . وقضى بقية حياته رهين المحبسين : العمى والمنزل . فأوحت اليه عزلته ماظهر فى لزومياته وفى رسالة غفرانه

وأما داتى فولد فى سنة ١٢٦٥ وتوفى سنة ١٣٢١ بعد أن عاش ستة وخمسين عاما

ولقد كان جده كاتشا جويدا Cacciaquida يحارب المسلمين فى صفوف الصليبيين لاغتصاب بيت المقدس تحت إمرة الامبراطور كونارد الثالث . وكأنى به اشتد على المسلمين فى حربه ، فأنعم عليه ذلك الامبراطور بلقب Cavaliere ، فأما والده فقد كان من غمار الناس